كم مرة عليك البحث عن صورة مناسبة لموضوعك دون جدوى؟
إننا نقوم بذلك دائما فيما نشعر يقينا "لن أجدها"

صورة تتحدث من فضلك

تحقيق/ محمد الظاهري

سؤال الصحفيين اليمنيين عن مهنتهم مثل العبث بأثاث الجحيم.

يروق لي هذا التعبير، فلديهم الكثير من المشاكل التي يتحدثون عنها لدرجة تجعلك تشعر بالإحباط.

إن السؤال عن موضوع محدد مثل "الصورة الصحفية" يكفي لتكون مضطرا لسماعهم يتلون كل المآسي التي صارت مثل مرادف تراجيدي للعبارة: "صحفي يمني".

قال غمدان اليوسفي وهو صحفي مولع بعبارات أحلام مستغانمي بشكل مفرط يعمل حاليا في المكتب الصحفي بوكالة الأنباء اليمنية (سبأ): "حياة الصورة الصحفية مأساة تبدأ في يد مصور غير مؤهل وتنتهي في مطبعة مهترئة، أو لا تكترث".

لا ينتهي الأمر عند مشكلة أن الصحف اليمنية "لا تهتم أصلاً بنشر الصورة".

ما زال الطريق مليئا بمخرجين غير مؤهلين بمعاني الإخراج الصحفي، ومتورطين أيضا أمام حشد من الصور الكثيرة ومواد صحفية مطولة -كهذه- تحاصرهم.

بدلا من الشعور أن ثمة من يوجه إليكم التهم، يمكنكم مواصلة القراءة.

ليست واضحة!

إن غياب الصورة الصحفية هنا مجرد نتيجة لقائمة من المشاكل المتداخلة، هذا ما سيجعلك متأكداً منه حين يبدأ النقاش.

بعد ساعتين من الجدل الذي بدأ عن الصورة الصحفية، وانتهى في مكان آخر، كان بمقدور مجموعة من الصحفيين التوصل إلى اكتشاف خطير: "نحن غالبا من نصنع مشاكلنا".

مثلا.. "ما زالت الصورة في ذيل قائمة اولويات الصحف هنا"، قال ذلك سامي غالب، وهو صحفي وعضو مجلس نقابة الصحفيين، ويعمل بجد منذ فترة على مشروعه الصحفي الخاص، ووعدنا بأن ينقل الصورة إلى مكان متقدم في سلم أولويات جريدته.

يعتقد سامي غالب مثل غمدان اليوسفي أنه حين تكون هناك صورة جيدة، فإنها لا تجد مساحة جيدة للنشر، وتنشر صغيرة، وينتهي الأمر في مطبعة "تضع لمستها الأخيرة لصناعة شيء غير واضح نسميه صورة".

هناك صور تلهمك بموضوع تكتبه، ولدينا قصة جيدة من مراسل عكاظ السعودية نبيل الأسيدي حين استوقفته صورة كانت ملقية دون اهتمام في احد أركان مكتبه.

قال إنه حين نظر إليها "كانت قضية"، وقد جعلته يكتب موضوعا، واكتشف فيما بعد أن موظف السكرتارية في مكتبه من قام بالتقاطها. (هذه لن تعجب المصورين).

كان موظف السكرتارية يحمل كاميرا المكتب في يده أثناء مروره بأحد الشوارع، وقد وجد نفسه يضغط زر التصوير ليوقف مشهدا لم يصدقه أول الأمر.

في النهاية كانت لديه صورة جيدة بالنسبة لمبتدء. فآلته لم تكن في حقيبة معقدة.

قال نبيل إن نفس الصورة التي نشرت في عكاظ على مساحة كبيرة استخدمت في صحيفة محلية، وقد نشرت مبتورة الأطراف وصغيرة جدا، وغير واضحة.

المهمة الأولى للصورة هي التوضيح، فما الذي يعنيه أن تنشر غير واضحة؟.

يبدو التساؤل طموحا، فهو يفترض صورا جيدة. لكن ماذا عندما تكون الصورة غير واضحة حتى عند تكبيرها بحجم الكرة الأرضية؟، وغير ذات معنى؟.

حقائب مغلقة

يقول الصحفيون أن المصورين غالبا ليسوا محترفين، وبتعبير آخر ليسوا صحفيين، ولم يتم في أي وقت أن فكر مسؤول جريدة ما بتأهيل مصوريه في هذا الجانب.

صاحب المخبز المقابل لأحدكم لن يتمكن من إجراء تحقيق صحفي متميز، لكنه قد يبهركم بقدرته على جعل الأرغفة تنتفخ إلى أقصى حد لها.

إن امتلاك الكاميرا ليس كافيا، ومن غير المنطقي أن يتجول مصور صحفي طيلة اليوم في الشوارع وهو يحتفظ بآلته داخل حقيبة يحتاج فتحها عشر دقائق كاملة.

معظم الصور التي تفوز بجوائز عالمية تمكنت من إيقاف مشاهد سريعة ومفاجئة، قال غمدان اليوسفي: "إنك لا تدري متى يجب أن تضغط على زر التصوير". وقد أضاف بعد ذلك عبارة مشابهة من رواية لأحلام مستغانمي.

خالد الحمادي أجبرته هذه المشاكل فيما مضى أن يقرر شراء كاميرا والتقاط ما يحتاجه من صور لموضوعاته الصحفية وقد ساعدته هوايته السابقة في التصوير.

اليوم أصبح الحمادي مصورا لوكالة الأنباء الفرنسية (ا.ف.ب) في اليمن بالاضافة إلى عمله الصحفي الآخر، واختيرت خمسون لقطة من تصويره للمشاركة في مهرجان عالمي عن الصورة في العالم العربي، عقد في هولندا في الخامس من سبتمبر الماضي ويستمر حتى الرابع والعشرين من الشهر الجاري، يشارك فيه ٢٥ مصورا من إحدى عشرة دولة عربية.

قال الحمادي: "المشهد أحيانا لا يسمح لك بأكثر من دقيقة، ولن يتكرر أمامك دائما".

ورغم أن الحمادي كثيرا ما عض أصابع الندم لأن آلته لا تكون جهازة في لحظة ما، فهو يردد عذر الآخرين. يعتقدون أن تعليق كاميراتهم على صدورهم في وضع استعداد "غير ممكن هنا في اليمن".

يبدو لي العذر غير مقنع، ثم أن المشكلة في المصورين الذين لا يدركون بأن اللحظة قد مرت، ولا يعلمون ما الذي يجب تصويره لموضوع ما.

من يهتم؟!

مصور يعمل في احدى الجرائد يرى أنه لا يوجد ما يستحق التضحية، ويتعامل بشكل روتيني مع التقاط الصور التي تطلب منه فقط. وقد شكا من كل شيء تقريبا.

لم يرغب في ذكر اسمه، فهو يشعر أن حقوقه مهدره ولا يريدها أن تهدر أكثر، وقال: "حتى البطاريات الخاصة بالكاميرا لا أحصل عليها إلا بطلوع الروح".

كان يريد ضرب مثل بسيط للسخرية من أن أحداً قد يفكر بتأهيله، أو حتى ينتظر منه صورا جيدة.

لقد اعتاد أن تطلب منه صور عن "السايله" مثلا بعد أن يكون الصحفي انتهى من كتابة موضوعه. قال: "يقولون لي صور المدير الفلاني والمهندس، وصورة عامة".

يحدث هذا غالبا، وليس دائما. وما يمكنكم اكتشافه هنا أن الصحفي والمصور لا يعملان معا، ألا تبدو هذه قاصمة، والصحفي لا يخبر المصور لاحقا ما الذي يريده بالضبط، أو ما هو الموضوع، وبدوره لا يهتم المصور أنه قد يجلب صورا جيدة، قال المصور الذي لم يرغب أن يذكر اسمه: "أجلب الصور التي طلبوها فقط".

هذا أيضا ليس حقيقيا، وقد لا يعجبهم ما سأقول، لكن بعض المصورين الذين عملت معهم لا يجلبون ما أطلبه حتى لو أنفقت ثلاث ساعات في شرح ما أريد.

دليل إدانة..

أحد أهم المصورين اليمنيين يرى أن عدم اهتمام الصحف بالصورة، وغياب الخلفية الدراسية للمصور نفسه تقف خلف غياب الصورة الصحفية في اليمن.

وقال محمد سعيد نعمان (٦٢ عاما) وهو رجل بدأت آلته العمل منذ العام ١٩٦٣م: "معظم الصور التي تنشرها الصحف هنا هي شخصية لم تلتقط بالشكل المطلوب".

حصل نعمان على عدد من الجوائز الدولية تجعلنا نثق برأيه، وله عدد جيد من المشاركات في معارض دولية مختلفة، ويملك أكثر من خمسين ألف لقطة لمناظر جميلة في اليمن قال إنها "ليست كافية".

إنه محترف في مجال التصوير الطبيعي، وقد عمل في مجال التصوير الصحفي لفترة قصيرة، ويعتقد أنه أصبح مسنا بشكل يحول بينه وبين المحاولة مرة أخرى.

نعمان يرجع غياب الصورة إلى عدم اهتمام الصحف بنشرها، وقال: "الخلفية الدراسية للمصور نفسه غير موجودة"، إن هذا هو السبب الأهم من وجهة نظرة.

ويشرح: أصبح التصوير تخصصات كثيرة، إنه علم قائم، فهناك مثلا تخصص في تصوير الزهور فقط"، ويرى أن المصورين بحاجة إلى التدريب، "لا بد أن يدرسوا ويتعلموا ما الذي يجب أن يقوموا به".

أخبرتكم سابقا أن امتلاك كاميرا ليس كافيا، نحن بحاجة إلى معرفة لماذا نضغط زر التصوير، ومتى؟، ولماذا هذا المشهد بالذات يجب أن يتوقف في صورة ليبقى.

ليس بعداً..!

حين يقرر المخرج الصحفي حجم ومكان الصورة على الصفحة يمكننا التأكد بأن قائمة المشاكل لم تنته بعد. ما زال الطريق أمام أي صورة في الصحف اليمنية طويلا.

إنها نفس المشكلة، فكثير من المخرجين يجيدون استخدام أجهزة الكمبيوتر، وتنسيق الصفحات، لكنهم لا يدركون لماذا يجب أن يفعلوا ذلك؟، وما الهدف من جعل كلمات الموضوع الصحفي فاتحة أو غامقة؟.

لن نتمكن من التحدث عن الإخراج الصحفي هنا، فالموضوع قد يطول بشكل مقيت، لكن ربما علىَ التعامل بجد مع اقتراح أحد الزملاء والبدء بكتابة أول مؤلفاتي..

المخرجين الصحفيين أيضا بحاجة إلى تأهيل ليس على مهارات استخدام الكمبيوتر أو الإخراج، ولكن لربط مهاراتهم بمهنة الصحافة. عليهم أن يدركوا حقيقة ما يقومون به، فهم يتحكمون بأدق مراحل العمل الصحفي.

مهما يكن الموضوع مهما، والصورة جيدة، فإن المخرج قد يجعل كل ذلك غير مهم أمام عين القارئ.

أحد المخرجين جادل المحرر مطولا، ثم أقر بأن ما يقوله عن الإخراج الصحفي غير مفهوم.

وغالبا ينظر في صفحات جريدة دولية "محترمة" إذا فكر في تغيير أسلوبه، وقال: "حتى المدراء حين يطلبون منا التغيير لا يقولون ما قلت، يطلبون منا النظر في جريدة ما".

في النهاية لا يمكنني إلقاء اللائمة على المخرجين، فهم ضحايا أخطاء نرتكبها نحن. فهم غالبا يوضعون أمام موضوعات طويلة، ورزمة من الصور، إن انتظار كل ذلك في صفحة واحدة بشكل مهني جيد هو ضرب من الجنون.

بعد صدور العدد الأول من مجلة "الإعلام" تحدثت إلى مخرجها خالد الحبيشي، وهو شاب يملك حسا جميلا كان واضحا في أغلفة المجلة الخارجية والداخلية. لكن إخراج صفحاتها الداخلية كان سيئاً.

لم يرغب الحبيشي بالتحدث عن ذلك أول الأمر وواصل صعود السلالم، وحين سألته: "ربما كانت الموضوعات طويلة أكثر من اللازم"، توقف وقال بحراره: "آه.. لمست الجرح".

آخر الأخبار

ليس خبرا سارا. حين كنت طالبا في كلية الإعلام لم يكن من حقي دراسة مادة عن التصوير الصحفي، لكنه مازال من حق كليتي الدفاع عن حماقاتها.

■ هذه من إبداعات محمد سعيد نعمان، لا تبدو لقطة عادية

■ الكاميرا سجلت لحظة ابتهاج واقبال على الحياة لعدد من الموهوبين المعاقين.

■ ليست هذه أفضل ما لدى خالد الحمادي، لكنها من الصور التي كانت كاميرته في وضع استعداد لالتقاطها.

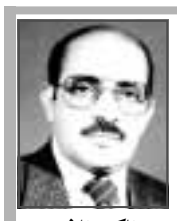

أشواق

عبدالكريم الخميسي

القلب المفتوح..

● مركز «القلب المفتوح» إنجاز يستحق الإعجاب إذا لم يتحول إلى مركز «الجيب المفتوح» فأي تلاعب أو اهمال في هذا المشروع الحيوي الهام يعتبر جريمة في حق هذا البلد، وفي حق هذا الشعب!!

● لقد طال انتظارنا لمثل هذا الانجاز الكبير، وعلينا أن نحافظ عليه ونهتم بصيانته، ونستقدم له أفضل الخبرات، وننهيء له كافة المستلزمات.. فقد مللنا ذلك الأسلوب الذي يهدد «الملايين» في الاجهزة «الضخمة ثم يعجز عن توفير القطعة الصغيرة التي تكمله والتي لا تكلف إلا «الماليم..»!!

● إن النزيف المستمر «للعملات الصعبة» من أجل العلاج في الخارج، يضع المسؤولين الصحيين أمام استحقاق لا بد من أدائه على الوجه المطلوب، وعندي يقين راسخ بانه لو توفر لهذا «المركز» إدارة مستقلة، وخبرات عالية، وكوادر مؤهلة، ورواتب مجزية، لما فكر أي مواطن في السفر للمعالجة خارج البلاد.

● وحينها سنحقق الأهداف الثلاثة التالية:-

١- سنضمن بقاء العملات الصعبة داخل الوطن.

٢- سنوفر على المواطن التكاليف الباهظة للعلاج في الخارج.

٣- سنستعيد الثقة المفقودة بين المواطن والطبيب.

● المهم أن لا يتحول مركز «القلب المفتوح» كما قلنا إلى مركز «الجيب المفتوح».. وسلامتكم..

ص . ب (٤٨٤١)
alkhmisy@hotmail.com

تأملات

محمد العريقي

لماذا يعجز إنسان القرن الـ٢١ عن حل مشاكله

● باجماع كل المهتمين .. بل وحتى الذين ليس لهم دراية بالسياسة وعلم النفس.. هناك شعور بأن العالم يسير نحو المجهول .

● شبح المجهول هو المخيم علي ج العالم .. ومنه تساقط القلق والاكتئاب والشعور بانعدام الأمن النفسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي .. وتقاسمت المجتمعات والافراد كل ملامح الوضع المتوتر والمرهق .

● تنام ونصحى على أخبار القتل وصور الجثث والدماء والدمار .. والدموع .. ما ذا جرى هذا الانسان الذي يعيش في عصر الاختراعات التكنولوجية والعلمية المذهلة ، هذا الانسان الذي أبتكر بعقله وقوة تفكيره انجازات عملاقة سهلت معيشته غير انه للاسف الشديد عجز هذا العقل ان يبتكر حلولا عملية وانسانية لمشاكله القائمة عن سلوكيات الاطماع والهيمنة وغرور القوة .

● هل بالضرورة يحدث كل هذا الظلم في القرن الـ٢١ ، وهل نقبل كبشر ان نسلم مستقبل العالم لافراد من الحمقاء والمتغطرسين كل همهم القتل والتشريد والسطو والاغتصاب على حقوق الآخرين بالقوة وبنزعة العنصرية .

● ان هولاء .. وعلى رأسهم الكيان الصهيوني .. ومن يدعمهم في اي منطقة من العالم مسؤولون عن كل الذي يحدث من اضطراب وقتل الابرياء في العالم .

● اسرائيل مجلبة كل هذا الشر ومتسببة في الوضع المأساوي في المنطقة العربية .. وهي وراء تنامي مظاهر الحقد والكراهية والانتقام .. والبلبلة والفوضى في الشرق الأوسط وهي المسؤولة ايضا عن تطاير الشر والى مناطق اخرى من العالم .

● المجتمعات المتقدمة التي يفترض ان تنعم برفاهية تطورها تأخذ اليوم قسطها من القلق وحالات الاضطراب والفوضى التي يعيشها العالم برمته .. والسبب خروج الحكمة والعقلانية كمعيار لمواجهة المشاكل والتخلي عن القيم الاخلاقية ومبادئ العدل والانصاف التي تحث عليها كل الديانات السماوية والاعراف الدولية والفطر الانسانية في معالجة الامور وبؤر التوترات والازمات .

● ان الخروج من هذا المأزق .. يتم بالعودة الى تعامل بني البشر بروح من الثقة والاحترام ومنح المستحقين حقوقهم في السيادة والامن والأمان على اراضيهم ومعالجة كل مظاهر النزاعات بالعدل والحق .. وردم فجوة الشك والتوجس التي يعيشها الانسان مع أخيه الانسان بالحكمة والمصداقية والتعاون كبشر يعيش في سفينة واحدة لخلق كل مقومات الامن والاستقرار ودحر عوامل وأسباب التخلف وما يلحق به من فقر ومرض وجوع وجهل .. وهذا ليس بمستحيل على انسان القرن الواحد والعشرين .

alariky@maktoob.com